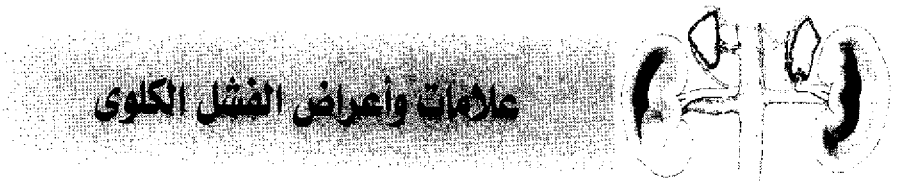

•• فوضى داخل الجسم .. !

غياب حالة الاستقرار والتوازن الداخلى للجسم هو الصفة العامة للجسم الذى تتوقف فيه الكليتان عن العمل بكفاءة ، وكل أعراض الفشل الكلوى هى فى الحقيقة نتاج هذه الحالة المضطربة .

فالفشل الكلوى يؤثر على كل خلايا الجسم .. ولكن لماذا ؟!

عندما تتعرض الكلية للفشل فإنها تصبح غير قادرة على القيام باستخلاص السموم والمواد الزائدة لطردها خارج الجسم ، وبالتالى تتراكم بالدم ، وتسممه ، وتزعج خلاياه وأنسجته ، وتعوق قيامه بوظائفه الطبيعية ، وتصبح «كيمياء الجسم» فى حالة من «اللخبطة» وعدم التوازن ، نظراً لوجود مواد لا حاجة لها أو زائدة على مستواها الطبيعى وحدوث نقص بمواد أخرى ضرورية .

وهذه «اللخبطة» تحدث فى الفشل الكلوى المزمن [وهو النوع الشائع] ببطء وبصورة تدريجية على مدى فترة طويلة نسبيًا ، ولذا فإن الصورة الواضحة لوجود الفشل الكلوى المزمن قد لا تظهر لنا إلا فى مراحل متأخرة ، ومن هنا تظهر أهمية إجراء الفحوص المعملية التى يمكنها أن تنبهنا لخطر حدوث فشل كلوى فى وقت مبكر .

وهناك لاشك أعراض وعلامات مختلفة لتشخيص الفشل الكلوى إكلينيكيًا أى فى العيادة وبدون إجراء فحوص معملية .

فمن ضمن الأعراض المبكرة على سبيل المثال : الشكوى من خروج كميات كبيرة متكررة من البول ، وهذا يحدث بسبب عدم إعادة امتصاص الكلية المريضة للماء بعدما تتم تنقيته [من المعروف أن جزءاً من الماء يعاد امتصاصه مرة أخرى على حسب حاجة الجسم بعد تنقيته من الفضلات] . كما أن ارتفاع ضغط الدم قد يكون مؤشراً آخر لوجود مشكلة بالكلية .

**** أهم الأعراض والمتاعب :**

والآن ، دعنا نتناول بوضوح بعض الأعراض والعلامات الأخرى المهمة للفشل الكلوى :

الشكوى من التعب السريع (Fatigue) :

كل منا يتعرض للشعور بالتعب أو الإجهاد بين وقت وآخر ، ولكن عندما يصبح التعب السريع شكوى واضحة وملازمة فإن الأمر فى هذه الحالة يثير عدة احتمالات مرضية مثل حدوث فشل تدريجى فى وظيفة الكلية .

فالمريض بالفشل الكلوى يجد مشقة فى أداء المهام والمتطلبات اليومية التى كان يقوم بها من قبل دون تعب واضح .. بل قد يكلفه مجرد ارتداء ملابسه فى الصباح وخروجه للعمل وقيادة السيارة تعبًا شديدًا . وهذا التعب السريع والشعور بالإجهاد هو فى حقيقة الأمر ناتج من زيادة المواد السامة والفضلات بالدم لعدم قدرة الكلية على التخلص منها بكفاءة .

سرعة التنفس (النهجان) :

وهذه المشكلة تحدث بسبب زيادة حموضة الدم بسبب فشل الكلية فى الحفاظ على التوازن الداخلى بين القلوى والحامض .. ونتيجة لذلك يكون التنفس سريعًا لمحاولة طرد أكبر كمية من ثانى أكسيد الكربون لخفض نسبة الحموضة بالدم .

فقر الدم – الأنيميا (Anemia) :

الفشل الكلوى يسبب أنيميا ، أى : فقر دم ، وهذا يعد سببًا آخر للشكوى من التعب السريع . وتعتبر الأنيميا من العلامات المبكرة للفشل الكلوى .

ولكن لماذا يصاب المريض بالفشل الكلوى بالأنيميا ؟

فى حالة الفشل الكلوى يقوم الجسم بتكسير زائد وسريع لكرات الدم الحمراء (أسرع وأكبر من المعدل الطبيعي) ، وبالإضافة لذلك فإن النخاع الشوكى يصبح غير قادر على التكيف مع هذا التكسير السريع بإنتاج كرات دم حمراء بمعدل سريع وكاف . وهذا يحدث لسببين ، الأول : عندما تتدهور

وظائف الكلية ، يحدث انخفاض فى إفرازها للهرمون الذى يحفز وينشط النخاع الشوكى على إنتاج خلايا الدم (كما سبق الإشارة لذلك) .. كما أن تسمم الجسم بسبب الفشل الكلوى يؤدى لتسمم النخاع الشوكى وبالتالى فإنه يخفق فى القيام بوظيفته .

ومع مرور الوقت ، تزداد حالة الأنيميا حتى تصل إلى درجة واضحة يمكن للمريض وللمحيطين به تمييزها حيث يبدو وجهه شاحبًا بوضوح . ونظراً لوجود الأنيميا فإن خلايا الجسم لا تستطيع الحصول على ما يكفيها من الأكسجين والغذاء الكافيين ، ولذا فإن لون الجلد بصفة عامة يصبح باهتا مفتقداً للحيوية ويصبح ملمسه جافاً «مقشراً» (Flaky) .

البقع الجلدية (Skin pigments) :

لون الجلد يتحكم فيه صبغات مُلونة (Pigments) ، وبناء على ذلك قد يكون فاتحًا أو «غامقًا» . ويقوم بترسيب هذه الصبغات فى الجلد هرمون معين .. وهذا الهرمون تقوم الكلية بصورة طبيعية بتكسيره بمعدل معين . وفى حالة الفشل الكلوى تعجز الكلية عن القيام بذلك ، وتبعاً لذلك تزيد الصبغات الملونة مما قد يؤدى أحيانًا لظهور بقع بنية بالجلد ، ونظراً أيضًا لخروج هذه الصبغات الملونة مع البول ، فقد يكتسب البول لونًا «غامقًا» .

ونتيجة أيضًا لارتفاع نسبة اليوريا وحدوث ترسيب لها بالجلد تبدو بشرة المريض بلون رمادى فاتح مائل للون الطين (Muddy) .

الهرش (الحكة الجلدية) :

من الأعراض الشائعة بين مرضى الفشل الكلوى بما فيهم الذين يعالجون بالغسيل الكلوى الرغبة المتكررة فى حكّ الجلد ، وقد تصل إلى حد يؤدى لنزول دم بسبب الحك الشديد . ولكن ما سر هذه المشكلة المزعجة ؟!

ليس من الواضح تماماً سبب ذلك ، ولكن يعتقد أن مشكلة الحكة الجلدية ترتبط بزيادة نسبة الفوسفات فى الدم .. لكنها قد ترتبط كذلك بتأثير المرض على الأعصاب مما يؤدى إلى الإحساس بحرقان أو «شكشكة» بالجلد .

وقد يساعد إعطاء مضاد الهستامين (مضادات الحساسية) فى تخفيف هذه المشكلة ، لكنها قد تظل أحيانًا مشكلة مزعجة لا تستجيب لعلاج .

التهاب الأعصاب :

نتيجة لتراكم السموم فى الجسم بسبب الفشل الكلوى فإنها قد تؤثر على كفاءة الأعصاب ، وهذا يحدث بصورة مباشرة وأخرى غير مباشرة . فقد تؤدى هذه السموم إلى تلف مباشر للأعصاب .. أو قد تؤثر عليها بشكل غير مباشر من خلال حرمانها من التغذية اللازمة .. ونحن لا نسمى ذلك التهابًا بمعنى الكلمة ، وإنما نسميه اعتلال الأعصاب (Neuropathy) . وعادة يبدأ هذا الاعتلال للأعصاب الطويلة ، كالتى تغذى الساقين ، ولذا يلاحظ أن مريض الفشل الكلوى قد يشكو أحيانًا من حرقان وتنميل بقدمه . لكن هذه المشكلة تحدث عادة فى مرحلة متقدمة من المرض (ESRD) .

مشكلات الهضم :

ومع تقدم حالة الفشل الكلوى يبدأ ظهور مجموعة من الأعراض المرتبطة بالهضم والجهاز الهضمى وتناول الطعام . فقد يعانى المريض من رائحة كريهة بفمه تجعله لا يتذوق الطعام ، وهذه الرائحة وهذا المذاق المتغير ناتجان من ارتفاع نسبة البولينا (اليوريا) واختلاطها باللعاب والعصارات المعدية ، وعندما تتحلل اليوريا ينتج عنها (أمونيا) لها رائحة شبيهة بالنشادر .

وبصفة عامة ، لا يجد مريض الفشل الكلوى متعة كافية فى تناول الطعام على عكس ما كان من قبل بسبب عدم تذوق الطعام وأيضاً بسبب معاناته من أعراض أخرى مزعجة مثل الانتفاخ والغثيان والتقيؤ ووجع المعدة وربما المعاناة من فواق متكرر [زغطة] .

فكل هذه الأعراض المزعجة قد يشكو منها وتجعله لا يقبل على الطعام . وفى بعض الحالات قد يعانى كذلك من إسهال دموى . وبصفة عامة تعتبر الشكوى من الغثيان هى أبرز الشكاوى المزعجة المرتبطة بالجهاز الهضمى . ولذا تعطى مضادات الغثيان لمقاومة هذه الشكوى ولمساعدة المريض على تناول طعامه.

احتجاز السوائل (Fluid retension) :

فى بداية الفشل الكلوى قد يقوم المريض بإخراج كميات كبيرة من البول ، ولكن مع تقدم الفشل الكلوى يقل حجم البول ، ويحدث احتجاز للسوائل بالجسم مما يتسبب فى حدوث انتفاخ وتورّم . وعادة يبدأ ظهور التورم برسغ القدمين (ankle) .. لكنه قد يحدث بأى مكان آخر مثل البطن ولذا يلاحظ المريض أن ملابسه قد صارت ضيقة عليه . وأحيانًا قد يحدث احتجاز للسوائل بالرئة مما يجعل المريض يعانى من صعوبة فى التنفس ، وقد تتطور هذه المشكلة إلى إصابته بالتهاب رئوى بسبب زيادة فرصة العدوى .

مشكلات العظم :

إن الفشل الكلوى يؤثر على صحة وسلامة العظام (كما سبق الإشارة لذلك) ولذا قد يعانى مريض الفشل الكلوى من أعراض مختلفة ترتبط بالعظام وما يكسوها من عضلات . فيعانى بصفة عامة من أوجاع وآلام بعظامه وعضلاته. وقد لا يقدر على المشى بارتياح . وقد يعانى من تقلصات بعضلاته فى المساء (Cramps) وهذه المشكلة ترتبط بفقد الجسم لبعض الأملاح (وقد ترتبط كذلك بفقد السوائل خلال الغسيل الكلوى) .

كما أنه قد يعانى من أعراض أخرى مزعجة مثل تشنج اليدين وانحرافهما مما يعوق قيامه بأنشطته وقد يعانى من تقلص أو عدم ارتياح بساقيه بسبب تأثير الفشل الكلوى على الجهاز العضلى – العصبى (Neuromuscular) . وأحيانًا قد يرتبط بعض هذه الأعراض بنقص بعض الفيتامينات .

وقد يؤدى الفشل الكلوى إلى ضعف العظام وتعرضها للكسر بسهولة بسبب فقد الكالسيوم . وقد سبق توضيح هذه العلاقة .. لكننى أذكر مرة أخرى باختصار أن نقص فيتامين (د) النشط الذى تفرزه الكلية المريضة يؤدى لضعف امتصاص الكالسيوم وانخفاض مستواه بينما يزيد مستوى الفوسفور ، ولكى يعوض الجسم هذا النقص فإنه يبدأ فى سحب كمية من كالسيوم العظام . وقد تضعف أيضًا العظام بسبب تراكم الأحماض بها مما يجعلها تفقد كمية من

الكالسيوم . وهذا التراكم يحدث بسبب عدم قدرة الكلية على التخلص منها بصورة طبيعية .

مشكلات بالقلب :

قد يؤدى الفشل الكلوى لألم شديد بالصدر ناتج عن التهاب الغشاء المحيط بالقلب (Pericarditis) ويسمى غشاء التامور . وقد يؤدى ذلك إلى التأثير على وظيفة القلب . وليس من المعروف بشكل مؤكد سبب هذه المشكلة ، ولكن يعتقد أنها تنتج من إهمال أو سوء علاج الكلية المريضة بالفشل بدليل أن هذه الحالة تتحسن عادة بعد إجراء الغسيل الكلوى .

الإصابة بمرض النقرس (Gout) :

فى مجموعة محدودة من المرضى بالفشل الكلوى المتقدم (ESRD) قد تحدث مشكلة ارتفاع نسبة حمض البوليك بالدم إلى درجة عالية تؤثر على المفاصل وخاصة مفصل أخمص القدم فيظهر به تورم والتهاب واحمرار .

الأرق :

قد لا يجد مريض الفشل الكلوى راحته فى النوم ويصاب بأرق بسبب إحساسه بالتوتر وعدم الارتياح وأيضًا بسبب الفواق المتكرر الذى قد يعانى منه ويؤرقه أثناء الليل .

زيادة القابلية للعدوى :

تحدثنا فيما سبق عن تأثير الفشل الكلوى على كرات الدم الحمراء . أما كرات الدم البيضاء فإن عددها لا يتأثر بالفشل الكلوى ، لكنها عادة تصاب بضعف النشاط والفاعلية مما يهدد بالتالى مناعة الجسم حيث تضعف وتصبح غير قادرة على التصدى للميكروبات والفيروسات ، ولذا تزيد القابلية للعدوى .

اختلال القدرات الذهنية :

فى مرحلة متقدمة من الفشل الكلوى قد يبدو المريض غير قادر على التركيز «سريع النسيان» مشوش التفكير «مضطرب الذهن» وقد يبدو حديثه بطيئاً غير واضح . وهذه التأثيرات لا تشير إلى تلف المخ وإنما هى ناتجة عن تراكم السموم بالجسم والتى تؤثر بالتالى على وظائف المخ والقدرات الذهنية .

المشاكل الجنسية :

ولا تسلم الغدد الصماء كذلك من تأثيرات الفشل الكلوى بما فى ذلك الغدد الجنسية ، وهذا يؤدى بدوره إلى ضعف الرغبة الجنسية ، وقد يحدث ارتخاء جنسى . وقد يحدث توقف للحيض عند النساء .

كما يساعد أيضًا على حدوث الضعف الجنسى للرجال تناول العقاقير المخفضة لضغط الدم المرتفع سواء المؤدى إلى أو الناتج عن الفشل الكلوى .

وقد يحدث كذلك عقم ، سواء للرجل أو للمرأة ، لأن تسمم الجسم الناتج عن الفشل الكلوى يؤثر على تكوين الحيوانات المنوية فى الخصية وقد يؤدى كذلك للتأثير على الغدة النخامية عند المرأة مما يتسبب فى وقف التبويض .

أعراض أخرى متقدمة :

فى الحالات المتقدمة من الفشل الكلوى أو الحالات التى تبقى دون علاج ، قد تظهر مجموعة أخرى من الأعراض الأكثر خطورة بالنسبة لما سبق . فقد تحدث نوبات من التشنجات ، وضعف أو فقدان للوعى ، ومشكلات فى الإبصار فقد تظهر الرؤية مضطربة غير واضحة ، وفى حالات أخرى قد يحدث عمى مؤقت . وهناك أيضًا احتمال حدوث فشل بالقلب (Heart failure) بسبب تراكم السوائل بالرئة والتهاب الغشاء المحيط بالقلب .